

صبحي فحماوي

بطاقة

صبحي فحماوي أ رذني الجنسية - صدر له سبع روايات هي:

(عذبة)، (الحب في زمن العولمة)، (حرمتان ومحرم)، (قصة عشق كنعانية)، (الإسكندرية ٢٠٥٠)، (الأرملة السوداء). (على باب الهوى)

كما صدر له خمس مجموعات قصصية هي:

موسم الحصاد، رجل غير قابل للتعقيد، صبايا في العشرينات، الرجل المومياء، فلغل حار.

وله ست مسرحيات هي: العزومة، ليلة الافتتاح، ثورة فلاحين، في انتظار النور الأخضر، شخصيات مستنسخة، حاتم الطائي المومياء.

وهو مؤسس ومدير تحرير مجلة "الراوي".

* بداية، "يتهمك" النقاد بأنك "قاص مهموم بالوطن، مهموم بالإنسان العربي، مهموم بمصير الأمة العربية".. وسؤالي كيف ترى أنت الأديب صبحي فحماوي ذلك؟ وكيف تفهم الالتزام..؟

المهموم بالوطن ليس تهمة، بل هو أقل الواجبات أن نحب الوطن الذي منه نبتنا، وعليه نعيش، وبه نحيا، وعليه سنموت، وسيكون حنوناً وهو يضمننا بين ترابه الطهور.. أقل ما نعطيه للوطن، هو التفاني في

محبتة، والدفاع لمنع اجتياحه من قبل الأعداء، والحرص من خلاله على تكوين الشخصية العربية " كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. . " والحفاظ عليها، لتتدارك مسيراتها المتعثرة، وتنهض، لتتطور حضارياً. وهذا ما تجده في رواياتي (عذبة، حرمتان ومحرم، الإسكندرية ٢٠٥٠، قصة عشق كنعانية، الأرملة السوداء، ورواية "يوميات ألمانية" التي لم أنته منها بعد. .).

*** وهل يمكن الحديث عن مشروع روائي واضح الملامح للكاتب صبحي فحماوي، وكيف كان تطوره..؟**

في الحقيقة نسيت أن أضع مشروعاً روائياً، بل أرى أن تفكيراً ما يسيطر عليّ ويسيرني، وهو ما كان يسميه العرب "إلهام رواية الشعر"، يركب على كتفيّ ويدلّج رجليه، ويقول لي اكتب كما أمليه عليك، فأكتب كالعبد المأمور، وذلك ما كتبتة في مقدمة روايتي (الحب في زمن العولمة). وأجدي أسير كما تمشي العراقية الجميلة "رهدة"، وأنا أكتب بطريقة "رهدة" . . أكتب بكل بساطة، ما تجرني إليه يداي المرتبطتان ارتباطاً عضوياً وذهنياً بتفكيري الفني المرتبط بمشاعري اليومية، غير المتجزئة من تاريخي العربي الواحد، ومن مصالحن الوطنية وحاجاتنا المستقبلية. . . ولا أعرف ما إذا كان أسلوبني يتطور، ولكنه بالتأكيد ينضج مع الكبر في العمر، مثل ساق الشجرة الذي تزيد دوائره الداخلية مع الزيادة في عمرها.

*** رواية "عذبة"، اعتبر بعض النقاد أنها تؤرخ بداياتك الإبداعية الفعلية، رغم أنك نشرت قبلها كثيراً من القصص الملفتة..؟**

عذبتني كثيراً رواية (عذبة) النقية الرقاقة بعذوبة ينايع بئر الهرامس، ومخزون بئر الناطف في قرية (أم الزينات)!

لا أحد يعرف أن "عذبة" هي جدتي الحنونة القاسية المدبرة، والتي كانت عندي جذع شجرة سنديان عتيقة.. يصعد على أفرعها الأطفال فتقول "يا ساتر" بعكس شجرة التين، التي تقول أفرعها للمتسلق عليها "يا كاسر!" هكذا كنت جدتي عذبة تقول لي، فتخيلتها في الرواية طفلة صغيرة بقيت في البلاد.. وبقي عشيقها الطفل عماد المنذر، والذي كبر في بلاد التهجير القسري، يحبها ويرهن نفسه للعودة إليها لينني بيتاً جميلاً بدل البيت الذي هدموه، وما يزال ينتظر حق العودة، ليجمع شمله مع محبوبته عذبة.

* في "عذبة" كان السرد الروائي عندك يطابق الواقع، فيما كانت روايتك "إسكندرية ٢٠٥٠" أقرب إلى الخيال العلمي.. والسؤال هل يمكن للكاتب أن يكتفي بأن يكون شاهد عيان، يقوم بمهمة التصدي لمحاولات الإخفاء والتدليس.. أم لا بد دائماً من جرعة من الخيال في أعماله..؟

لا أعرف متى تكون الكتابة واقعاً، ومتى تكون خيالاً، ففي نهاية روايتي (حرماتان ومحرم) كتبت ما يلي:

"أشعر أن شخصيتي الفعلية هزيلة أمام شخصيات الرواية التي تستقوي عليّ، وتهزني من الاعماق، وهي التي توجه نفسها لتقرير مصيرها، وتشعر أنها هي الحقيقة، وأنني أنا الوهم. وقد يكون ذلك صحيحاً، فكثير من شخصيات الروايات الوهمية صارت حقيقة أكثر من الحقائق نفسها، فشخصيات رواية " ألف ليلة وليلة " الوهمية اشتهرت وعمت، بينما انقرضت شخصية مؤلفها أو مؤلفيها عبر تاريخ العرب!

وهذا يجعلني أتفهم وكون شخصياتي الروائية حقيقة، وكوني أنا الوهم، ذلك لأنها ستحيا بعدي، وأنا سأموت، مثلما عاشت الالهامات، ومات فراعتها!

وهذا ما نراه في السد العالي الذي بناه شعب جمال عبد الناصر، فزاودت عليه البطانة الإعلامية للحاكم الذي تلاه، كون السد قد دمر البيئة والزراعة والاثار المصرية، وعندما لم تستطع الاقناع بمسح صورة عبد الناصر من وجه خارطة مصر العربية، عاد الحاكم الذي تلاه، فألصق صورته على النصب التذكري للسد فوق صورة الزعيم الخالد عبد الناصر، وليس تحتها، لتمحو الرواية الحقيقية! ولتكون الحقيقة وهمًا، والوهم حقيقة!

حاول أن تقرأ الخيال حقيقة، وأن ترى الحقيقة مجرد خيال لا يلبث أن يزول، تماماً كسحابة تزول وتصبح خيالاً.. الاحتلال حقيقة، ولكنه لا يلبث أن يزول، ويصبح خيالاً!

إن شخصية المهندس العكاوي مشهور شاهر الشهري، صاحب المائة سنة ونيف، والذي يصنع في رواية "الإسكندرية ٢٠٥٠" كل هذه العجائب هو أكثر واقعية، بإصراره في النهاية على "وجوب العودة" إلى عكا، وليس مجرد "حق العودة" إليها، فيحقق ذلك، عائداً يلعب مع أحفاده على شاطئ عكا: "طاسة طرن طاسة، في البحر غطاسة، من جوه لولو، ومن برة نحاسة" شو هي..؟

* يرى بعضهم أنك قاص مبدع، أكثر مما أنت روائي، حتى أن أسلوب الكتابة القصصية يطغى على أعمالك الروائية. بحيث تبدو وكأنها قصص قصيرة مترابطة بطريقة ما.. ما قولك.. وهل تعتبر هذا مديحا أم نقدا..؟

هذا هو أسلوب الرواية الحديثة، حسب قول أ.د. مدحت الجيار في ندوة بمعرض الكتاب الدولي في القاهرة، إن رواية صبحي فحماوي (الإسكندرية ٢٠٥٠) تعتبر نموذجاً للرواية العربية الحديثة..

قلت في أكثر من مرة في هذا المجال أن الرواية هي قصة طويلة، وأن القصة هي رواية قصيرة، وأن القصة الجيدة هي شطيرة طعام لذيذة، بينما الرواية هي وليمة مختلفة الأطعمة المتنوعة. . . القصة هي طليقة، بينما الرواية معركة متكاملة. . . القصة وردة تهديها لحبيبة، بينما الرواية حديقة متكاملة يتنزه فيها الأحبة، ويختبئ خلف ثياها الأعداء. . .

وفي الحقيقة لا أرى رواية دون قصص وحكايات وخرافات، وشعر، وأغاني، فهي ديوان العرب الذي يكون فيه كل شيء. . .

والقصة لدي هي روح الرواية، ولا رواية دون مضمون، ولا روح للرواية دون قصة، أو حكاية، أو قصص مضحكة مبكية فاعلة، تخدم تطور حبكة الرواية، وتدفع بها إلى الإمام وحتى النهاية. . . ولهذا أجدني أنتمي لهذا الفن المتكامل معاً.

*** يلاحظ اتكاؤك على الزمن والتاريخ في الكثير من أعمالك..
وسؤالي ليس هناك من خشية أن يتحول الروائي إلى مؤرخ..؟**

التاريخ هو جذوع شجرة الحياة، فلا تكتب الحياة لشجرة دون جذوع. . . والروائي ليس مؤرخاً بمعنى الكلمة، بل هو كاتب فني يصور حياة مجتمعه بطريقة فنية جمالية تسحر القلوب، وتغذيها بأرواح جذورها العتيقة. . .

وحتى لو اعتبرت الرواية نوعاً من التصور الفني للتاريخ، فإنها أصدق أنباء من الكتب التاريخية التي توظف التاريخ للمدح والتنميق، والتي قد لا تقول الحقيقة في كثير من الأحيان. . . وللأسف فإن كثيراً من مؤرخينا العرب وأخص منهم الفلسطينيين بالذات، لا يكتبون الحقيقة، إما لأنهم يجهلونها، وإما لأنهم يقرأونها من كتب المستشرقين الذين يزورون التاريخ لمصلحتهم، وإما لأن ندرة منهم موظف، أو يعمل لصالح جهة

تريد منه أن يكتب ما يكتبه من مسخ للتاريخ الفلسطيني، فمثلاً في روايتي (قصة عشق كنعانية) أرى أن أصل الفلسطينيين لا يمت بصلة لجزيرة كريت، التي يتشدق المستشرقون وظلالهم العربية بها، بل هم منذ الإنسان الأول في فلسطين، ومنذ العصر النطوفي الذي فيه تحول الإنسان الأول إلى الإنسان الحالي، نجد بئر النطوف في أم الزينات - حيفا- قد تم حفره في العصر النطوفي . . . ولكنهم يقولون: أنت من (كربت كلكيلية)، بدل من (قرية قلكيلية) و(كلت لهن) بدل (قلت لهم) و(كال وكلنا) بدل (قال وكلنا) ولهذا فإن الفلسطيني هو من (كربت أم الزينات) أو (كربت صفورية)، فتم الادعاء أنهم من (كربت)! لقد اكتشفت في روايتي هذه أن (كربت) ليست تلك الجزيرة المعروفة، ولكنها (كربة- قرية)، ولهذا فإن الروائي الحديث ليس ناقل كتب تاريخ أو مؤرخ، بل هو باحث فني يغوص في عمق التاريخ، فيجلب لؤلؤ الحقيقة لقرائه!

وذلك ما يظهر واضحاً وجلياً في الصفحة الأولى من روايتي "قصة عشق كنعانية" والتي تقول: "الأمم مثل الروايات، تفقد جذورها في خضم الزمان وأساطيره، ولا تستعيد ألقها إلا في الخيال. . . الأمم عبارة عن سرد للتاريخ". (هومي بابا - كتاب "اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني") ويقول (كيث وايتلام. مؤلف كتاب - اختلاق إسرائيل . . .): "يحتاج التاريخ الفلسطيني أيضاً إلى أن يخلق لنفسه فضاءً، حتى يتمكن من إنتاج روايته الخاصة للماضي، وبهذا يساعد في استعادة أصوات السكان الأصليين، التي تم إسكاتها في خضم اختلاق إسرائيل القديمة".

* استوقفتني كلمة لأحد النقاد حول دور "المكان"، في أعمالك، يقول فيها "المكان" عند فحماوي هو مكان عام، مكان ملتعب، مكان نائر على الظلم، مكان مقاوم"!!..!

(المكان) عندي في رواية "عذبة" هو عتبات بيتنا الذي بناه أبي في أم الزينات، فهدمه المحتلون مع كل بيوت القرية، المكان في روايتي "الإسكندرية ٢٠٥٠" هو بحر الإسكندرية المتوحد مع بحر عكا، الذي اختفى فيه جدي عام ثمانية وأربعين، بعد أن رشوا قوارب الصيادين، فتثقت جنباتها ونزفت دماؤها بحمرة غطت وجه البحر الأزرق.. المكان هو الصحراء العربية التي يريدون أن يدفنونا فيها أحياء، وهم يدعون كاذبين أننا نريد أن نرميهم في البحر، ونحن لا نرمي في البحر غير شباك الصيد، لتجلب لنا لقمة طعام نتقوت بها! المكان هو الخيام ومعسكرات أنصار التي زرعت في خاصرتنا، وبيوت شعر ميسون الكلبية المتآمرة علينا، وهي تريدنا أن نعود إلى خيام الصحراء، إذ قالت:

لبيت تعصف الأرياح فيه أحب إليّ من قصر منيف!

*** كان توظيفك للأسطورة ملفتا في رواية (قصة عشق كنعانية)..
فهل يمكن أن تحدثنا عن ذهابك باتجاه الأسطورة.. ومفهومك
للعلاقة بين الأسطورة والأدب..؟**

الأسطورة معتقدات ومفاهيم سابقة يتم توظيفها في الأدب والسلوك اليومي، لتؤدي غرضاً ثقافياً وتخدم توجهات محددة.. كان الكنعانيون هم أول من آمن بإله واحد للدنيا كلها هو "إل"، وكان الفراعنة يؤمنون بالإله المصري لمصر وحدها هو "أمون".. لا مجال للحديث عن الأسطورة في هذا الحوار، ولكن الأساطير الكنعانية هي التي علمتني مثلاً معنى كلمة (سبعتها) أي غسلتها ونظفتها تماماً، والتسبيع من الرقم سبعة الذي هو رقم التفاؤل الكنعاني.. والسبع هو قمة القوة والشخصية في الحيوانات، من سبعة، وعندما أسألك: من أية عشيرة أنت، فتقول لي: من عشيرة تاجا، "عشيرة" هذه هي زوجة الإله "إل"، وعندما أقول لك

إننا زرنا "بعل"، معنى ذلك أن "بعل" هو الذي يروي الزرع.. و"بعل" هو رب الكنعانيين حسب الأسطورة.. وهكذا ترى أن ثقافتنا التي ما تزال نؤمن بها حتى اليوم هي ثقافة الأسطورة الكنعانية.. الأسطورة ثقافة نحتاج أن نتفهمها ونتحسسها ونعيشها، وهذا ما أردته حين كتبت روايتي "قصة عشق كنعانية" وحين عيّشتك مع الآلهة القديمة وعلاقتها ببعضها بعضاً، حسب الأساطير الكنعانية، فإنما أكون قد أقمت الناس الكنعانيين والحيوانات القديمة وجعلتها بعون الله حية تسعى داخل مخيال الرواية! لقد صورت الرواية الزراعات والصناعة والتجارة الكنعانية من حماة شمالاً وحتى آخر بلاد الامازيغ البربر الكنعانيين في شمال إفريقيا، فكتشفت أن البعلين في شمال إفريقيا هم كنعانيون، ولا ننسى أحد قادتهم "هاني بعل" أو "هنيبعل" هو أحد قادة البعلين البربر الامازيغ العرب، والذين أفهمهم أن أصلهم غير عربي.. الأسطورة الكنعانية يا عزيزي تجعلك تعرف نفسك، وتعرف أصلك، وتعرف علاقاتك الوطنية، وقبل كل شيء تمتعك بقراءتها وتخيل قصص الحب والغرام والحرب والسلام وطموحات المستقبل الرحب فيها! الأسطورة الكنعانية في الرواية تجعلك تفهم التاريخ، ليس بالتدريس الممل، ولكن بطريقة مضغ الحلويات.

*** ولماذا كان ذهابك إلى ألف ليلة وليلة.. وشهريار وشهرزاد في "الأرملة السوداء".. لتعود وتكتب رواية حدائثية..؟**

كان هذا مشروع كتاب عن علاقة المرأة بالرجل.. فقالت لي دكتورة ناقدة: "هذا مشروع رواية، ولا داعي لكتابة أبحاث الكتب بصفتك روائية"، فكتبتها على شكل رواية، فطلعت أجمل وأكثر شداً وأغزر معلومات من كل رواياتي، وإذ بها عالم متكامل يصف حيوات الفلسطينيين المهاجرين عام ١٩٤٨ إلى عمان، حيث تجمعوا عند رأس

العين هناك، ثم تسلقوا ليسكنوا مؤقتاً في الجبال المحيطة برأس العين، ومنها جبل التنظيف وجبل المريخ ومخيم الوحدات، ومن هناك وصلوا إلى عبدون وانتشروا في بلاد مختلفة.. صارت رواية "الأرملة السوداء" عالماً متكاملًا من العذابات والبحث عن الذات.. ولكن شهريار لم يأت هو وشهرزاد من أعاجيب رواية "ألف ليلة وليلة"، التي هي أصل كل الروايات العربية والعالمية على السواء، بل جاء من أعاجيب الهجرة الفلسطينية، التي تتفوق في أهوالها وعذاباتها ودهشتها على قصص رواية "ألف ليلة وليلة" ..

*** تعتمد في جميع رواياتك على الربط بين السياسي والاجتماعي والثقافي.. وهو ما تجلى في "عذبة" و"الأرملة السوداء" و"حرماتن ومحرم"؟..**

حتى من يتعامل مع الخيل والدواب اسمه سائس، وإذا صعب عليك شخص، يقال لك: (سائسه)! السياسي متداخل مع الاجتماعي والثقافي، صدقني لست رجلاً سياسياً أبداً، ولا أقرأ الكتب السياسية إلا نادراً، ولكنني أقرأ السياسة في وجوه العامل والزبال ورئيس الوزراء وسائق السيارة، وأقرأها في وجه زوجتي وهي تسانس أطفالها برقة، بينما أنا أسائسهم بشدة. وروايتي تجمع بين كل هؤلاء.. إنها عالم اجتماعي سياسي ثقافي.

*** تزخر أعمالك الروائية بالكثير من الشخصيات التي تتحرك في شتى الاتجاهات.. والسؤال إلى أي مدى يستطيع الكاتب أن يكون حيادياً في تسيير شخصيات روايته..؟**

أنا مصور حياديّ لما أراه في الحياة والمجتمع، فتارة تجد في رواياتي أن المرأة مظلومة، وتارة أخرى تجد أن الرجل مظلوم، كما يتجلى في روايتي (الأرملة السوداء)، ولكن ذلك لا يتعارض مع كوني صاحب

رؤيا، ولي توجه ثقافي، كما قلت لي في بداية حوارك، وأريد أن أترك بصماتي الفنية والتثقيفية ضمن كتاباتي. لقد قال لي أحد الروائيين المشهورين إنه يعتقد أن مهمة الروائي ليست إصلاح الكون، ولكنني أعتقد أن مهمتي إصلاح الكون، ولكن بقدر مساحة الصفحات التي أكتبها، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه...!

* في رواية (الإسكندرية ٢٠٥٠) استشرفت مستقبل المياه في مصر، وتوقعت أن تنهار تلك المنظومة التي كانت تحكمه، فهل تحدثنا عن تلك الطاقة الحدسية لدى الروائي.. مم تتكون.. وكيف تتجلى..؟

ها هي مياه النيل لم تنتظر حتى عام ٢٠٥٠، بل بدأت تجف منذ أن انشق القمر في السودان إلى هلالين ضعيفين، والقادمت المخيفات أكثر تغولاً.. وأما عن الحدس، فأنت ترى مركباً يغوص في البحر شيئاً فشيئاً، فمن المحتم أن تقول إنه سيغرق.. وترى مقامراً يلعب ويخسر، ويخسر، ويخسر، فمن الطبيعي أن تقول إنه سيفلس! وهكذا يكون استشراف المستقبل في الرواية!

* تقول في إحدى حواراتك: "أعشق جمالية اللغة العربية، ونظراً لخوفي عليها من الاندثار أقوم بتجسير كلمات عربية حديثة بهدف تحديث اللغة وإنعاشها، وأجدني أتحلل من قواعد (أبو، وأبا، وأبي) وأكتبها على الحكاية (أبو فلان).. وأضيف أن النقاد يسجلون لك تمكّنك من اللغة، وتطويعها وسلاسة السرد في أعمالك.. رغم أنك تستخدم العامية والأمثال الشعبية أحياناً في الحوارات..؟

لم تعد بعض كلمات المعلقات السبع تُفهم في عصرنا الحالي، ولا بد من تحديث اللغة العربية، وتجسير كلمات جديدة لتدخل فيها، وتثريها،

وذلك أفضل من تحدّث شباب اليوم باللغة الانجليزية وإلغاء العربية . . ففي روايتي (الإسكندرية ٢٠٥٠) يقول طالب لرجل من المجمع اللغوي: "يا أستاذنا عندما نلفظ كلمة (سروال)، فالمستمع لا يفهم ما إذا كان المقصود سروال جدتي الطويل حتى أخمص قدميها، أم سروال أبي القصير الذي يلبسه تحت ثوبه العربي، أم السروال الذي يشمر عنه الفلاح وهو يحرث أرضه، أم السروال المكوي الذي نذهب به اليوم إلى الجامعة، أم سروال النوم، أم السروال الداخلي الرقيق الدقيق لفتاة مراهقة؟" يضحك محمد، ويقول ساخراً: "كلها صارت (سراويلا)!" ويقول نجيب محفوظ: إن أي كلمة يمكن أن نشق منها الأفعال والمصدر فهي عربية، ولا مانع أن نقول: "الولد الملطوش!" من لطش، يلطش، الطُشه كفاً، فهو ملطوش!"

*** تعتمد في رواياتك كثيراً على الحوارات الداخلية للشخصيات وسبر نوازع النفس البشرية بشفافية وعمق.. كما تكثر من طرح الأسئلة المقلقة خلال النص.. لماذا.. وهل تتقصد أيضاً خلق حالة من القلق الموازي لشخصيات العمل لدى القارئ..؟**

الرواية ليست للتسلية فقط، وإنما هي لتحريك الساكن في النفس ونفضه، وتعرضه للشمس، وفتح آفاق فكرية جديدة، وتطوير المفاهيم، وفلسفتها، والدفع باتجاه التجديد، وهذا لا يتم دون طرح أسئلة مقلقة لم نتعود عليها، ولم نسمعها من قبل!

*** لفتتني تلك السخرية اللاذعة والمؤثرة جدا في ذات الوقت في روايتك "حرمتان ومحرم"، وبشكل عام أراك تميل أحيانا إلى السخرية المبطنّة تارة.. والمباشرة تارة أخرى..؟**

عندما تسخر من شيء، فأنت تقزمه، والسخرية هي نوع من المقاومة الاجتماعية، وهي أسلوب لكشف فضائح الموقف!

* الربيع العربي يدعو لإعادة السؤال عن طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة السياسية. كيف تراها..؟

الربيع العربي يطالب بفك ارتباط "الحكام مع أصحاب رأس المال المتوحش"، ويطالب أن يكون الحاكم موظفاً ديمقراطياً، يخضع للدستور، الذي يكتبه الشعب، ويخدم مواطنيه بالعدل، وأن يكون الحاكم سيفاً مسلطاً لهم ضد الأعداء، وفي نفس الوقت يدعو لعدم ارتداء الشعب في أحضان الغرب، للتخلص من ظلم الحاكم العربي! الربيع العربي يريد من الحاكم الدكتاتور أن يكون مثل شهريار في روايتي (الأرملة السوداء)، فيكف عن العنف والقتل، ويصبح أنيس شعبه، وذلك بالأدب، وبالرواية، وبالحوار الناعم الذي تنسجه له شهرزاد. الربيع العربي يريد الوحدة العربية لتحقيق الحضارة، مثل؛ تركيا، وإيران، والصين، والهند، والبرازيل.